

غزل بشار العذري

دراسة موضوعية

الدكتور
حافظ المنصوري

التمهيد

شاع بين دارسي الادب قدماء ومحدثين ان بشار بن برد من الشعراء الخلعاء في العصر العباسي ، وضموا اسمه الى قائمتهم فهو في مجونه كأبي نواس وواليه بن الحباب والحسين بن الضحاك وربيعه الرقي وغيرهم . وهم في هذا كله يطلقون احكامهم اطلاقاً ، ولا يميزون بين غزلهم الفاحش ، وغزلهم العفيف وكأن الشاعر عندهم اما ان يكون فاحشاً خليعاً في غزله واما ان يكون عفيفاً ، بل انهم عدوا شعراء الغزل في العصر العباسي الأول جميعهم من الخلعاء الذين لا يرعون حرمة للمرأة ، ولا يتورعون عن التصريح بمفاتن الجسد ، ولذة الفريزة ، اذ اصبح ظهور شاعر عفيف في هذا العصر امراً شاذاً لا يقبله العقل مثلما حسبوا ظهور العباس بن الأحنف بفنه العفيف امراً شاذاً على قيم العصر ومبادئه ، فالدكتور طه حسين يرى ((ان العباس بن الأحنف سقط بين الكرسيين . كما يقول الفرنسيون . لانه لم يبلغ اتقان الغزلين من شعراء بني امية ، ولم يبلغ اجادة العابثين من شعراء بني العباس ، وانما جاء فاتراً ، قلما

يترك في النفس أثراً قوياً ، لأن الفن الذي أراد أن يختص به كان قد انقضى عصره وانتهت الأسباب التي أوجدته ((^(١)).

وتبع طه حسين على النهج نفسه دارسون آخرون من أمثال جورج غريب في كتابه (الغزل ، تاريخه وأعلامه)^(٢) وحسان أبو رحاب في كتابه (الغزل عند العرب)^(٣) والدكتور شوقي ضيف^(٤) ويرى باحث معاصر في غزل بشار أن المرأة لديه ((صوت مسموع متغاير النغمة ، أما جمالها المدرك بالنظر أو قبحها فهذا ما يفتقر إليه لذا تتحول المرأة عنده إلى وجبة مادية تسد رمقاً حسياً))^(١) ويرى هذا الباحث أن المرأة عند بشار وربيعة الرقي ((قد تحولت إلى فهم عبثي صارخ لا يرى فيها غير الجسد الذي جهد بشار في طلبه قولاً وفعلاً وهو لا يرى من المرأة إلا الغواية والشهوة))^(٢) ويرى أيضاً أن قدرة بشار منصبة على الجانب الحسي ، فلا يشغل نفسه إلا بهذا الجانب من المرأة))^(٣) ويراه باحث آخر ((بأنه أباحي الشوق شهواني الحب بهيمي اللذة))^(٤).

وفي ظني أن أغلب الدارسين قد تأثروا بما ساقه صاحب الأغاني من أخبار عن بشار تلك التي دل أكثرها على معنى الفحش والخلاعة ومنها ما قاله ((عهدي بالبصرة وليس فيها غزل ولا غزلة إلا يروي من شعر بشار ، ولا نائحة ولا

(١) حديث الأربعاء ، طه حسين ٢٩٤/١.

(٢) انظر ص ٣٧.

(٣) انظر ص ٢٠٥.

(٤) الفن ومناهبه في الشعر ، ص ٦٤.

(١) شعر المكفوفين ، د. عدنان عبيد العلي ، ص ١٨٤.

(٢) نفسه ، ص ١٨١.

(٣) نفسه ، ص ١٨٤.

(٤) بشار بن برد بين الجد والجون ، حسين منصور ، ص ٥١.

مغنية إلا تتكسب به ولا ذو شرف إلا وهو يهابه ويخاف معرفة لسانه ((^(٥)، ومع ذلك فعلى شدة هذه الموجة الشائعة عن غزل بشار نجد من الدارسين من هم أكثر انصافاً وروية في احكامهم على شعر بشار ، فمنهم من رأى ان شعره يجمع بين فحش القول وبين القول الحكيم الذي يجري على السنة الناس اعجاباً وتمثلاً واستشهاداً ((^(٦).

ويرى الدكتور توفيق الفيل ((ان هناك اتجاهين في غزل بشار ، حسي وغير حسي))^(٧). كذلك قد اشار الدكتور حسين عطوان الى ان لبشار مقدمات تحتوي غزلاً تقليدياً فيه معاني العذريين وذلك لانه كان ينشد هذه القصائد امام كبار الخلفاء والولاة^(٨) ، ويرى آخر ((ان نسيب بشار جرى مجرى الغزل العذري في العصر الاموي))^(٩) ويقول مرة اخرى (. ان شاعراً يقف اكثر نسبية على امرأة واحدة يبثها فيه شوقه ويشكو فيه بعادها ويأتي فيه بالمعاني الغريبة والعاطفة القوية لشاعر صادق التعبير عما يجول في نفسه مخلص في حبه))^(١٠) واقوال اخرى مشابهة وفيها اعتراف ان لبشار غزلاً عذرياً جديراً بالدراسة ، وربما انطبق عليه قول من يرى ((ان بين الحسين والعذريين شعراء توسطوا في الامر فأباحوا أحياناً وتعففوا أحياناً اخرى وذلك كلفهم باللذة لانها لذة وبالغصة لانها عفة وكان يعنيه ان يقال تغزلوا فاجادوا الغزل^(١١) ومهما يكن فان

(٥) الأغاني ، ابو فرج الأصفهاني ، ١٤٩/٣ .

(٦) رحلة الشعر من الأموية الى العباسية ، د. مصطفى الشكعة ، ص ٤٢ .

(٧) القيم الفنية المستحدثة ، ص ١٦٧ .

(٨) انظر مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي ، ص ١٦٩ .

(٩) بشار بن برد وفاتحة العصر العباسي ، د. عمر فروخ ، ١١٥ .

(١٠) انظر: بشار بن برد ، د. طه الجابري ، ص ٤٢ .

(١١) الادب الاموي صورة رائعة من البيان العربي ، د. ابراهيم علي ابو الخشب ، ص ٧٠ .

ديوان بشار وما يضمه من اشعار بين دفتيه هو الحكم الفصل في الموضوع.

اشكالية البحث

لقد اردت في هذا البحث ان اقترب من حقيقة بشار بعيداً عن اراء الدارسين معتمداً على ديوانه لان الديوان من اصدق المصادر واقدمها عن الشاعر ، فلدي استقراي للديوان وجدت فيه ما يخالف الاراء الكثيرة التي قيلت فيه اذ ان غزله الذي ينحو فيه نحواً عذرياً يفوق في كمه غزله الصريح او المكشوف ، وهو فيه ينحى منحى العذريين من شعراء العصر الاموي او بعض شعراء الدولتين ، فلماذا وصف بانه شاعر خليع ولم يوصف بانه شاعر عذري ؟

هذا من جهة ومن جهة اخرى اردت ان اشير الى ان كثير من الاحكام التي صدرت على ادبنا القديم فيها كثير من عدم الموضوعية ، وان كثيراً من الباحثين يتكئ على احكام غيره ، ولو كانت مجانية للصحة كما ان بعض الباحثين من يبني احكامه على ابيات مفردة يختارها من قصائد طويلة ، وهو اسلوب في الدراسة غير دقيق لان القصيدة كل متكامل . ولا سيما قصائد الغزل . تنظم في وقت تعبر عن رؤية شعرية معينة ، يمثل فيها الشاعر نهجاً معيناً من الفكر والاتجاه والسلوك ، فقد يكون الشاعر عذرياً تماماً في كلامه وفكره في قصيدة ، وقد يكون غير ذلك في قصائد سابقة او لاحقة ، لان العذرية لا تختص بزمان معين ولا بمكان معين ولا بشخص دون غيره وقد يكون الفرد خليعاً ماجناً وقد يكون عفيفاً في وقت اخر ، وهذا لا يعني ان فنحن نهتم بدراسة النص الشعري مضافاً الى غيره من النصوص المشابهة له وفي هذا البحث ندرس ما لبشار من غزل يحمل معاني العذريين اما غزله الاخر فموضوع بحث اخر .

مظاهر الغزل العذري

الغزل العذري ليس فناً جديداً او طارئاً في عصر بشار بل هو قديم قدم الانسان الذي عرف الحب منذ نشأته . ولكن هذا الفن قد شاع في عصر بني

امية حتى اصبح ((ظاهرة تحتاج الى تفسير))^(١).

فكانت هناك طائفة عاشت في اواخر العصر الاموي وادركت العصر العباسي كابي حية النميري والحسين بن مطير وبكر بن نطاح الحنفي وغيرهم.

واذا اردنا ان نستقري مظاهر العذرية في شعر هؤلاء جميعاً ، نجدها تتركز حول مفاهيم ودلالات معينة منها:

- ذكرهم لمشاهد الرحيل والتحمل الذي ينبت بالبعد والفراق والهجران وعدم التلاقي بين المحبين.

- كثرة الحديث عن الوشاة والعذال والحساد ، فهم فصل في قضية كل حب.

- حديثهم عن الحمائم الصادحة فهي رمز الالفة والمحبة والوداعة ، او ذكرهم الغراب فهو رمز التطير والبين والفراق.

- محاولة اخفاء حبه حرساً منهم على عدم فضح حبيباتهم بسبب قسوة التقاليد الاجتماعية.

- كثرة حديثهم في شعرهم عن العاشق المقتول بسهم لحاظ حبيته او بسيف هجرها الصارم.

- ادعاؤهم ان الحب بلوي او قضاء وقدر.

- ومن ذلك ايضاً - لجوؤهم الى اساليب القسم بالله وبالمقدسات الاخر وغير ذلك.

واذا فتشنا عن ذلك كله نجده مبثوثاً في غزل بشار فضلاً عن تفرد به بتجارب اخر لانجدها عند العذريين ممن سبقوه ، كحديثه عن مأساة حبه

(١) العصر الاسلامي ، د. شوقي ضيف ، ص ٣٥٩.

مقرونة بالليل ، فهو عنده رمز للوحدة والسكون واسترجاع الذكريات ... وما ذلك الا بسبب عماء وعدم تمكنه من رؤية الأشياء معتمداً على سمعه الذي ينشط بعد سكون الأشياء فقد اتخذه تعويضاً عن بصره المفقود.

معالم العذرية في غزل بشار

لعل أهم المعالم الكبيرة في غزل بشار العذري الذي يلتقي فيها مع غزل العذريين في العصر الأموي هي:

١- الصد والهجر والفراق

يكثر بشار في غزله من الحديث عن الصد والهجر والفراق وما يعانيه من شوق والم وحسرة ، تلهب في نفسه مشاعر الحزن والالام ، وهو في ذلك يشبه العذريين الى حد بعيد ، فكما كابد العذريون من صد حبيباتهم وهجرهن وتمنعهن ، يعاني بشار من ذلك ايضاً ، اذ ان الهجر يوصله حد السقم يقول^(١):

فصيانني يا حياتني	((عبد)) اصبحت حياتني
بسباب سقمي واذااتي	اغلقني علي بوصلي
لطفاً في الباقيات	واذا مات فابكي
تتجنني جفواتي	لا تكوني مثل اخرى
رب رغم الحاسنات	فلقد اصفيتك الشعـ

ومن ذلك قوله وهو يقرن فيه بين حديث الوشاة وبيت استجابة حبيبته للهجر يقول^(٢)

بحديث وثبت للهجر وثبا	ويح نفسي رب واشني
اين منا من لا يقارف ذنباً ؟	ما كنا يصنع المحب فقري

(١) الديوان ٥٦/٢.

(٢) الديوان ٣٨١/١.

لم يكن لي رب سوى الله يا عبدُ فما لي اتخذتُ وجهك ربّاً
ومن ذلك قوله^(٣):

عَدَّتْ عبدة في الهجر وفي الحب تَعَدَّيْتُ
وقوله^(٤):

كيف لي بالسُّلو عمن جفاني وفؤادي كالطائر المستجاب
أنا منه ومن جوى الحب امسي في عذاب قد ناء فوق عذاب
قال: هجر الحبيب يسليك عنها لن تنال السُّلو قبل اجتباب

٢- الواشي واللائم والخلي

لقد اكثر الشعراءُ العذريون في غزلهم من الحديث عن الواشي واللائم
والحاسد هؤلاء فصل في قضية كل حب وهم أي الشعراء ينكرون مواقف
هؤلاء، محاولين التخلص منهم ونماذج هذه الاشعار كثيرة في غزل العذريين^(١).
واذا استقرينا شعر بشار العذري نظفر بنماذج كثيرة تؤكد ذلك المعنى
فلا تكاد قصيدة في غزله العذري تخلو من ذكر الواشي واللائم ولعله في
ذكره لتلك الذوات يمثل جانباً من جوانب مذهب العذريين في ((اجتبابهم
للمواجهة بين عشقهم وتقاليد المجتمع اذ تطالعنا في اشعارهم وجوه الرقباء
والواشين الموكلين بتعقب هؤلاء المحبين))^(٢)
فمن ذلك قوله يتحدى فيه لائميهِ وحساده يقول^(٣):

(٣) الديوان ٢٨/٢.

(٤) ٣٥٤/١.

(١) انظر تلك النماذج في الشعر ابي حيه النميري ، مجلة المورد مج/٤ عدد ١ لسنة ١٩٧٥
ص ١٣٨ وفي شعر الحسين بن مطير مجلة معهد المخطوطات مج/ ٥ ج ١ لسنة ١٩٦٩.

(٢) في الشعر الاسلامي والاموي د. عبدالقادر القط ٩٥.٩٤ بتصرف.

(٣) الديوان ١١٣/٢.

يلومك في مودتها ((سعيد)) وما في حب عبدة من جناح
فغرك ان لومك يا سعيد ل تمنع بل احرق من النزاح
فدع لوم المحب اذا تهادى به حب النساء لحاك لاح
فانك لا ترد هوى بلوم ولا طرب المتيم بافتضاح
وقوله وهو يصرح بأسم لائمه^(٤)

يقول ابو عمرو غداة تهاللت من العين ذرات وفاض سفوحها
أجيدك من ريحانة طاب ريحها ظللت تبكي خلة وتنوحها
فقلت له: لا تكثر اللوم انني أتى من هوى نفسي علي جموحها
كأنك لم تعلم لعبدة حرمة واسرار حب عندنا لا تبيحها
وقوله^(٥)

ترقب فينا العاذلين على الهوى وما نال عيشاً قبلنا من ترقبا
يلومك في الحب الخلي ولو غدا بداء الهوى لم يرع اماً ولا أبا

٣- الوعد والمماطلة

ومما يؤكد عفة العلاقة بين الشاعر وحبيبته تمنعها ومماطلتها وعدم
ايفائها بوعودها حين تعدّ فضلاً عن صدها وهجرها لمن تحب ، والمماطلة من
ديدن العذريات وبالتأكيد سيتبع تلك المماطلة لمن تحب وجدّ وحزن يبلغ
حدالبكاء ، وهذه المعاني التي شاعت في غزل شعراء بني عذرة نجدها شائعة .
ايضاً . في غزل بشار العنري ، يقول بشار بعد ان يصف محبوبته (عبدة) ويذكر
حسد الحاسدات لها ، يقول انها سحابة صيف لم تمطر ، كناية عن تمنعها وهو
تشبيه رائع يدل . فيما يدل . على حرمانه وعدم تمكنه منها ، ثم يتوج ذلك

(٤) الديوان ١٤٢/٢ وابو عمرو كنية حماد عجرد.

(٥) الديوان ٢١١/١ وينظر الديوان ١٧١/٢ ، ١٣٧/٢ ، ٥٤/٢ وهو يكثر من ذكر العاذل.

يتأجيلها لوعده. يقول^(١)

بيضاء حسناً اشرقَتْ صفرة تهتز في غصن الصبي الاغيد
تحسدها الجارات من حسنها ومثلُ عبادة فليحسد
يحسدن منها قصباً مائلاً للقلب والخلخال والمعضد
ومضحكاً منها كما أومضت صيفية المزن ولم ترعد
وانها حوراء مكحولة غانية تغني عن الأثميد
ومن ذلك قوله^(٢):

إذا قلت أوفي العهد قالت وأعرضت
ستدرك ما قد فاتك اليوم في غد

٤- البكاء

البكاء ظاهرة شائعة في غزل العذريين ، وهو علامة الحزن والوجد ، بعد
الفراق والهجر والحرمان واشتداد الألم وتألم النفس ، فلا سبيل للمحب الا ان
يروّح عن نفسه بالبكاء لأمتصاص حالة الحزن التي تخيم على مشاعره.
فقد ذكر العذريين للبكاء في اشعارهم من ذلك قول ابي حية
النميري^(٣):

نظرتُ كَأني من وراء زجاجة الى الدار من فرط الصباية انظرُ
فعيناي طوراً تفرقان من البكا فأعشى وطوراً تحسران فأبصرُ
وليس الذي يهمني من العين دمعها ولكن نفسي تذوب فتقطرُ
وكقول بكر بن النطاح في (درة) وهو يذكر البكاء الحاصل بعد

(١) الديوان ١٧٧/٢ ، ١٧٧.

(٢) الديوان ٢٠٧/٢ .

(٣) شعر تابي حية النميري - مجلة المورد مج / ٤ عدد ١ ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٧ .

الهجر (١)

صَدْتُ فَأَمْسَى لِقَاؤَهَا حَرَمًا وَاسْتَبَدَلَ الطَّرْفُ بِالْدموعِ دَمًا
وَسَلَّطْتُ حَبَهَا عَلَى كَبِيدِي فَأَبَدَلْتَنِي بِصَحَّةٍ سَقَمًا
وَصَرْتُ فَرْدًا أَبْكِي لِفَرْقَتِهَا وَأَقْرَعُ السِّنَّ بَعْدَهَا نَدَمًا

وَإِذَا قَرَأْنَا غَزَلَ بشار العنزي نجده يكثر من ذكر البكاء وهو مرة يذكر البكاء مقرونًا بالفراق بعد نزوح الحبيبة ومرة يذكره مقرونًا بالصد والجفاء ومرة مع الذكرى التي تهيجها فتدعوه لذلك. يقول (٢)

لَقَدْ هَاجَ دَمْعِي نَازِحٌ بِنَزْوَحِهِ وَنُومِي إِذَا مَا نَوْمَ النَّاسِ أَنْزَحُ (٣)
وَقَالَ نِسَاءَ الْحَيِّ مَالِكٌ صَافِحًا وَمَا كُنْتُ عَنْ أَنْسِ الْأَوَانِسِ تَصْفَحُ
وقوله (٤):

قَالَ: أَذْرَى المَرَعْتُ الدَّمْعَ فَأَنْهَلَ نِظَامًا وَكَانَ عَهْدِي جَلِيدًا
مَا لِعَيْنِيكَ لَمْ تَذُوقَا مِنَ اللَّيْلِ رَقَادًا وَلَمْ تَرِيدَا جَمُودًا
فَقُلْتُ عَيْنَ بَكَتْ مِنَ الشَّيْبِ إِذَا حُلَّ وَأَخْرَى عَمَّنْ يَرِينِي الصَّدُودًا
وقوله (٥):

أَعْبَادَةٌ لَوْ تَتَسَا لِكِ نَفْسِي لَتَتَاسَيْتُ
وَلَوْ كَانَ التَّرَاخِي عِنْدَ لِكِ يَلْهِينَنِي تَرَاخَيْتُ
تَحْلِيَّتُ بَهْجَرَانَنِي وَبِالْحَبِّ تَحْلِيَّتُ

(١) بكر بن النطاح ، حياته وشعره ، مجلة المورد ، مج ٥ / ع ٣ / ١٩٧٦ ، سنة ١٩٧٦ ، جمع وتحقيق غازي النقاش.

(٢) الديوان ١٠٥/٢ .

(٣) أنزح: أي أبعد

(٤) الديوان: ١٨٨/٢ .

(٥) الديوان: ٣٢/٢ .

وما زلت بنا حتى بكيت عيني وابكيتُ
فقد آثرك القلبُ علي من كنت آخيتُ

ثم في آخر الأمر يروق له ان يرى حبيبته تبكي عليه بعد موته ، فهو
المقتول من حبها وهي القاتلة النائحة . يقول^(١)

صاح أوصيك اليها ثقةً فاحفظ وصاتي
قل (لعبادة) ردي بعض حزني واذاتي
واذا ما مت فابكي لطفًا في الباقيات
فقد أصفيتك الشعـ رَ برغم الحاسـدات

٥- ذكر الحمامة والغراب

والحمامة رمز الحب والاخلاص والوفاء والحنين والرقّة والوداعة ، وهي
كذلك رمز الحزن والصبابة والبكاء^(٢) تصدو في الصباح والعشي فتذكر
بالحبيبة المفارقة ، فتهیج احزان المحب واشواقه فتبعثه على القول ، وقد كثر
ذكرها عند العذريين كجميل ، والمجنون ، وقيس بن ذريح ، فجميل كان
يذكر حبيبته كلما سمع حمامة تنوح يقول^(٣) :

طربت وهاج الشوق فيّ وربما طربت فأبكاني الحمامُ الهواتفُ

وقد يجمع بين الحمامة وبين الغراب رمز التطير والتشاؤم ، يقول^(٤) :

فأن لم تهجني ذات يوم فانه سيكفيك ورقاء السراة صدُّ

اما عند بشار فيأتي ذكر الحمامة مرتبطاً باللوعة ، وعدم السلو ، فهي

(١) الديوان: ٥٦/٢ .

(٢) انظر: المرشد الى فهم اشعار العرب ، عبدالله الطيب المجنوب ، ١٢٥/٣ .

(٣) ديوان جميل: ص ٧١ .

(٤) نفسه: ص ٤٨ .

كلما تصدح تدعو الى الآرق والسهاد يقول^(٥):

فلستُ بسال ما تغت حمامة وما شاق رهبان النصاري مسيحها
وقوله^(٦)

إذا شئت ابكاني الحمام بصوته وهاج علي الشوق طولُ سياي
أما الغراب فهو دليل الشؤم والتطير وكان الشعراء العذريون يرتابون من
صوته ويتوجسون ((وكان العرب يسمونه حاتماً لأنه يحتم عندهم بالفراق))^(٧)
فصوته حين

ينعب ينبئ بالفراق. يقول قيس بن ذريح^(٨):

لقد نادى الغراب بين لبنى فطار القلب من حذر الغراب
وقال: غدا تباعدُ دارُ لبنى وتناي بعد ودِّ واقتـراب

وفي غزل بشار كذلك نجد ان الغراب باعثٌ على البكاء والحزن ومنبئ
بفراق مَنْ يحب ، يقول^(٩):

نعق الغرابُ فخنقتني عبرة وبكيتُ من جزع على الأحباب
يلرب قائلة وخيب علمها ماذا يهيجك من نعيق غراب
كاتمتها أمري وما شعرتُ به وكذلك قد كاتمته أصحابي

٦- القسم

ولكي يؤكد الشاعر العذري صدق حبه وعفته ومعاناته وإخلاصه لحبيبته

(٥) الديوان ١٤٣/٢.

(٦) الديوان ٤٤/٢ وينظر: ١٧٦/١.

(٧) العمدة ، ابن رشيق: ٢٦٠/٢.

(٨) الديوان: ١٤٠/١.

(٩) الديوان ٢١٥/١.

أولاً ، وليبعد الشك عن نفسها ثانياً ، يلجأ الى القسم بالله والمقدسات الأخرى .
وفي شعر بشار العنري يأتي القسم ليؤكد دلالات منها اخلاصه لحبيبته
(عبدة) وعدم اصطفائه أخرى غيرها .

يقول^(٣) :

يا عبدُ أقسم بالذي أنا عبدهُ	ولله المقام وما حوت عرفاتُ
لا أصطفي أبداً سواك خليفة	فتثقي بذلك والكرام ثقاتُ
ولو أنني في الترب ثم دعوتني	لبيتُ صوتك والعظام رفاتُ
وإذا ذكرتك (يا عبيد) تقطعت	نفسي عليك وعادني حسراتُ

ويؤكد ذلك الاخلاص مرة أخرى بقوله الذي ينفي فيه حبه لغيرها
واخلاصه لها فقط .

يقول^(٤) :

أما النساء فأنني لا أعيجُ بها	قد صمتُ عنها بنحِبٍ منكٍ منحوبٍ
أنتِ التي تشتفي عيني برؤيتِها	وهنٌ عندي كماءٍ غير مشروبٍ

وقوله من قصيدة في (عبدة) التي اتهمته بأنه قد (صبا) فيرد عليها
ويذكر إخلاصه لها وعدم تعرضه للكوانس في الستور أو في الطرقات ،
ويكرر دعوته لها بأن لا تخاف مكانها ويقسم بعدد ما هلل الحجيج ولبى .

يقول^(١) :

أرسلتُ خلتي من الدمع غربا	ثم قالت: صبوت بل كنت صبا
قلت: كلا بل صفا لك حبي	زادك الله يا عبيدة حبا

(٣) الديوان ٣٦/٢ وانظر ١١٥/١ في المعنى نفسه .

(٤) الديوان: ١٩٦/١ .

(١) الديوان: ٣٨٠/١ .

ما تعرضت للكوانس في الستر
أنت كدريت شربهن
وتلافيتني بذلك عنهن
فلهن الطلاق مني ، ومنني
فأطنتني ملكت نفسي وقلبي
لاتخافي على مكانك عندي
ولا العارضات سربا فسربا
فأصبحن غضابا على يذمن شربا
وانس يصب للمحب صبا
لك طول الصفاء والود عذبا
وهمومي فما يجاوزن وصبا
عوض ما هلك الحجيح ولبي

٧- العاشق المقتول

تتكرر صورة العاشق المقتول بيد حبيبته او بلحاظ سهمها او بسيف
هجرها كثيراً في الغزل العذري سواء عند كبار شعرائه كجميل بن معمر
وكثير عزة ومجنون ليلى ام عند الشعراء الذين ينهجون منهجهم في غزلهم
كشعراء البادية من مخضرمي الدولتين (الاموية والعباسية) كابي حية
النميري ، وعبد الملك بن عبدالعزيز السلولي ضمن ذلك على سبيل المثال قول
ابي حية النميري^(٢).

وما كنت اخشى ان تكون منيتي بكف اعز الناس كلهم عندي
وقوله: ^(٣)

كان لم أبرح بالعيون واقتل بتفتير ابصار الصحاح السقائم

ومثل هذا المعنى يأتي في شعر (عبد الملك بن عبد العزيز السلولي)^(٤)
وفي هذه النماذج وغيرها كثيراً ما يطلب الشعراء الثأر من حبيباتهم او
الدية والقود ، وفي ذلك اشارة الى المفاهيم الاسلامية التي تحرم القتل وتطلب

(٢) شعر ابي حية النميري ١٣٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٣ .

(٤) انظر: الاغاني ٤/٢٣ ص ٢٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .

القود والدية ممن يرتكب جريمة القتل ... وكأنَّ العذريين يحاولون ان ينبهوا الآخرين الى حالة الصد والحرمان والهجر التي يمانون منها على يد محبوباتهم تلك الحالة التي توصل الى القتل والموت عند الشاعر العذري ومن ثم يريد الدية من قاتله ، وكأنَّ حالة الموت والاستشهاد هي النتيجة النهائية لكل حب عفيف ... ومهما يكن فأن جميع الشعراء بعد جميل بثينة انما ينهلون من بيت جميل المشهور^(١).

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

ولذلك يصح القول ان هذا المفهوم في القصيدة العذرية يجسد رثاء النفس لان ((القصيدة العذرية في الشعر العربي تجمع بين التودد الى الحبيبة غزلاً عفيفاً قريباً من المثالية وبين رثاء النفس ، صورة حزينة متشائمة ، سوداوية نتيجة لخيبة الامل والاخفاق في تجربة الحب ... انها رثاء لنفس العاشق المحروم كما يتجلى ذلك في معجمها الذي تكثر فيه الالفاظ كالموت والهجر والحرمان ...))^(٢).

واذا نفذنا الى شعر بشار العذري نجد ذلك مبثوثاً في شعره وهو ينحا فيه منحى العذريين تماماً ، ففي هذه القصيدة التي يصور فيها الرحيل الذي يؤذن بدنوَّ البين والفراق الذي يؤدي الى الموت يقول^(٣)

افد الترحل وحتني صبحي	والنفس مشرفة على النحب
لما رأيت الهم مجتثحا	في القلب والعينان في سكب
والبين قد افدت ركائبه	والقوم في طرب ومن صيب
ناديت ان الحب اشعرني	قتلاً وما احدثت من ذنب

(١) ديوان جميل ص ٩٩ دار صادر . بيروت.

(٢) المرثاة الغزلية في الشعر العربي ، د. عناد غزوان ص ٣٣.

(٣) الديوان ٢٢١/١ والنحوب جمع نحب وهو الموت.

أهدى لعيني ذكركم سهداً من غير ما سقم ولا طيب
لو تسمعين وكنت شاهدةً ما يقرأ الرهبان في الكتب
لوجدت حبك قاتلي عجلاً ان لم يقرح كاشف الكرب
فظللت لا أدري أقيم على الهجران أو أغدو مع الركب
وقوله الذي يذكر فيه انه مات عدة موثبات بسبب هجرانه وسلوه يقول^(١):

وبراني الحب حتى كثرت فيها نحوبي

أنا مشغوف بسلمي كالنصارى بالصليب

وقوله الاتي الذي يصرح فيه معنى الموت في الحياة يقول^(٢):

دفنتني حياً ولا ذنب لي والحي لا يدفن حتى يموت
فاقصني بما شئت على عاشق قلبي مقر ولساني صموت
بل أيها العاذل في حبها يجري ولا يدري كذاك المقيت
لم تدرك ما حبي وعذبتني والشوق قد كاد بروحي يفوت

وقوله^(٣) الذي يذكر فيه غصة في الريق من حشجة الموت:

لما رأتي غرقاً في الهوى أجزضُ بالموت وحولي كتيث
قالت: ثقیل قد دنا موته فقلت: ما كل مريض يموت
تحت يد الله فلا تحزنني ان متُّ من داء الهوى أو بريث

٨- الليل والاحزان

مما يحسب لبشار من تجارب جديدة في غزله العذري كثرة حديثه عن الليل وهو يقرن اسقامه وغربته به في احاديث تنم عن ذوقه المتطور المتأثر

(١) الديوان ٢٢١/١ والنحوب جمع نحب وهو الموت.

(٢) الديوان ٢٣/٢.

(٣) الديوان ٢٣/٢.

بالنمو الثقافي والحضاري الحاصل في العصر العباسي ، فصوره التي يدبجها في شعره وفي غزله خاصة تقصع عن حس مرهف وقاد هو حس البعير الذي عوضه الله سبحانه ذكاء البصيرة ، وصقلته الحضارة ...

وبشار غالباً ما يصحو ويفرغ لذكر صباياته ومواجهه عندما يجن الليل ويضرب سدوله ، فتهدأ الكائنات وتسكن الأصوات ، فتنبعث في نفسه الذكريات التي عاشها في الماضي والحاضر وكأنها شريط بطيء الحركة فيبدأ بشار يلتقط منها ما يشاء ، وهي تذكره باشواقه ومواجهه واحزانه فيسجل في ضوءها صوراً مختلفة:

فمن قوله في (عبدة) وهو يتمنى عليها ان تمن عليه بنوم ، فهو يساور الليل تحت وطأة الهم بسبب هجرها وفراقها الطويل يقول^(١):

ياطيب عبدة ويلي منك ياطيبي	قطعت قلبي بشوق غير تعتیب
قل للتي نفسها وما شعرت	مني علي بنوم منك موهوب
ان الرسول الذي ارسلت غادرني	بغلة مثل حر النار مشبوب
اساور الليل تحت الهم مجتثا	من طول صفحك عني في اعاجيب
كأني بي منك طبا لا يفارقني	وان غدوت صحيحا غير مطبوب
الى ان يقول ^(٢) :	

يفشاني الموت من وجد بها ديما	والشوق تأخذني منها اهاضيب
للقلب راع اليها لا يفارقني	وفي الضمير من الحب الاعاجيب
لهفان قد يشتهي رَوْحاً يعيش به	بإدي الصبابة والهجران تعذيب
وقوله وهو يشكو السهاد وعدم النوم والضعف والنحول ويذكر طيفها	

(١) الديوان ١/ ١٩٤ .

(٢) الديوان ١/ ١٩٤ .

الذي ألم به^(٣):

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفي عني الكرى طيفاً أَلَمَ
نَفْسِي يا عبيدُ عني وأعلمي أنني يا عبد من لحم ودم
ان في برديَّ جسماً ناحلاً لو توكأت عليه لأنهدم
واذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم

ومن ذلك قوله الذي فيه مجافاة عيبته النوم ، وكأن جفونها قد قصرت
فلم تطبق على مقلتيها يقول^(٤):

جفت عيني عن التغميض حتى كأن جفونها عنها قصارٌ

ومرة أخرى يعاني من طول الليل وكأنه يجثم على صدره فيتمنى زواله
ويسأل ، ما بال الدجى ليس يبرح ؟ اضل الصباح طريقه ام ان الدهر كله ليل ؟
وما سبب هذا الا كثرة همومه التي اهاجها نزوح حبيبته ، فصار لا يعرف
الكرى طيل ليله وهو يذكر بشكوى امرئ القيس من ليله الطويل يقول^(٥):

خليلي ما بال الدجى ليس يبرحُ وما بال ضوء الصبح لا يتوضحُ ؟
اضل الصباحُ المستتير طريقَه ام الدهر ليل كله ليس يبرح ؟
كأنَّ الدجى زادت وما زادت الدجى ولكن اطال الليل همُّ مبرح
لقد هاج دمعي نازح بنزوحه ونومي اذا ما نوم الناس انزح
فيا طول هذا الليل لا اعرف الكرى ولا الصبح فيه راحة فأروح

ويذكر بشار ضعفه وملازمة الصبابة له ويصف ليله بليل من لدغته افعى

او عقرب يقول^(١):

(٣) الديوان ٥٤/٤.

(٤) الديوان.

(٥) الديوان ١٠٦.١٠٤/٢ وانظر الديوان ٥٢/٢ في اللمعنى نفسه.

(١) الديوان: ٢٢٠/١.

وكان ليلىك من تذكرها ليل السليم سرت عقاربته
فتركته يفشى أخت حدث تبكي لفرقتيه قرائبه
رجل تصاحبه صبايته وأرى الجلالة لا تصاحبه

وقال ايضاً وهو يصف رقادَه في ليله برقاد (الوصب الارمد) .
يقول^(٢) :

يا طول هذا الليل لم أرقد الا رقاد الوصب الأرمـد
مثل اكتحال العين نومي به بل دون كحل العين بالمرود
أراقب الصبح كأنني أمرؤ من راحة فيه على موعد
تعجباً مما دهاني به أقرب جيرانني لذي الأبعد

واقرب جيرانه حبيبته و (ذي الأبعد) الواشي الذي سعى بيتهما بالفساد .

ويضجر من الليل اذ يتمنى عدم عودته لأنه يحمل معه الغناء فهو يسهر

الليل ليرقب الصباح لأعتقاده ان فيه راحة من تعبهِ ولكن دون جدوى فالأصباح
مثل الليل فيها معاناة ووصب .

يقول^(١)

أب ليلى ليت ليلى لم يؤب انما الليل غناءً للوصب
أرقب الليل كأنني واجد راحة في الصبح من جهد التعب
ولقد أعلم اني مصبح مثمما امسيت ان لم تحتسب

وهو دائم الشكوى من ليله وصبحه فهو يعاني من سهاد الليل وعدم الراحة

في الصباح ، بل هو يستعد لمفارقة الحياة وتستعد النائحات لنوحه .

يقول^(٢) :

(٢) الديوام: ١٧٠/٢ .

(١) الديوان: ٣٤٨/١ .

مادواً الذي يسهد بالليل ولايسـتريح في الأصباح
فتجهزت لأنقضاء حياتي واستتعدت لميتتي انـسواحي

هذه اهم ملامح العذرية في غزل بشار بن برد وهي تؤكد ان لبشار غزلاً
عذرياً ينحو فيه نحو العذريين من شعراء بني عذرة ، وان كان بشار قد وصف
بأنه شاعر خليع فلا ريب فأن كبار الشعراء والمبدعين منهم لم تقف بوجوههم
الحدود والقواعد فهم قادرون على الكتابة في أي فن من فنون الشعر المختلفة.
فالعذرية صارت منهجاً يحتذى بعد ان وضع اصولها وقواعدها في الشعر شعراء
بني عذرة مما هيا لكل مبدع كبير ان يمارس نظم الشعر العذري وان كان
خليعاً في سلوكه ولاسيما اذا عرفنا ان الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس
من التصوير كما يقول الجاحظ^(٣).

قائمة المصادر والمراجع

- ١- الأغاني ، ابو الفرج الأصفهاني ، دار الثقافة ، بيروت.
- ٢- بشار بن برد ، د. طه الساجري ، سلسلة نوابغ الفكر . ٨ . ، ط/٤ ، دار
المعارف بمصر.
- ٣- بشار بن برد بين الجد والمجون ، حسين منصور ، ط/١ ، ١٩٣٠م.
- ٤- بشار بن برد وفاتحة العصر العباسي ، د. عمر فروخ ، دار بيروت للطباعة
والنشر.
- ٥- بكر بن النطاح حياته وشعره ، جمع وتحقيق غازي النقاش ، مجلة المورد ،
مج/٥ ، عدد/٣ ، ١٩٧٦.

(٢) الديوان: ١٤١/٢ .

(٣) الحيوانات: ٢٧/١ .

- ٦- حيث الاربعاء ، د. طه حسين ، ط٩ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ .
- ٧- الحسين بن مطير ، حياته وشعره ، د. حسين عطوان ، مجلة المخطوطات العربية ، مج/١٥ ، ج/١ ، ١٩٦٣ .
- ٨- الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط١ ، ١٩٣٨ .
- ٩- ديوان بشار بن برد ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٠ م .
- ١٠- ديوان مجنون ليلى ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ .
- ١١- رحلة الشعر من الاموية الى العباسية ، د. مصطفى الشكعة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ .
- ١٢- شعر ابي حية النميري ، جمع وتحقيق رحيم صخي التولي ، المورد ، مج/٤ عدد/١ ، ١٩٧٥ .
- ١٣- شعر المكفوفين في العصر العباسي أ.د. عدنان عبيد ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، عمان - الاردن ، ١٩٩٩ م .
- ١٤- العصر الاسلامي د. شوقي ضيف ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ .
- ١٥- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٥ .
- ١٦- الغزل تاريخه واعلامه ، جورج غريب ، دار الثقافة ببيروت ، لبنان (د.ت) .
- ١٧- الغزل عند العرب ، حسان ابو رحاب ، ط١ ، ١٩٤٢ .
- ١٨- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ، ط١٠ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٨ .
- ١٩- المراثاة الغزلية في الشعر العربي ، د. عناد غزوان ، بغداد ، مطبعة الزهراء

١٩٧٤.

٢٠- المرشد الى فهم اشعار العرب ، عبدالله الطيب المجنوب ، ط١ ، بيروت ،

١٩٢٠م.

٢١- مقدمة القصيدة في العصر العباسي الاول ، د. حسيتن عطوان ، دار المعارف

بمصر ، ١٩٧٤.